مساهمة الإعلام في بناء وحدة المغرب العربي الكبير(*)

زهيـر احـدادن
أستاذ محاضر بمعهد علوم الإعلام والإتصال

عندما ندرس الوثـائق التي تهتم بتـاريخ المغرب العربي قبل الاستقلال يعني في فترة الاحتلال الفرنسي ، نجد أن الصحافة تمثل الوثيقة التي عبرت عن ضرورة الوحدة أكثر من غيرها ، في حين نجد مثلا الأحزاب السياسية تذكر هذه الوحدة بالمناسبـات فقـط ، الصحـافـة كانت تعيش هـذه الرغبة بصفة مستمرة ومتكررة حتى أنها روجتهـا لـدى الجمـاهير وجعلت منهـا طموحـا تسمو اليـه جميع الشخصيات والهيئات والتنظيمات السياسية وغيرها .

وأعتقد أن هذه الظاهرة موجودة في جميع البلدان المغربيـة والبـاحث قـد يجـدهـا في صحف ليبيا وتونس والمغرب ، ولكن في هذا العرض الوجيز الذي أقدمه لكم سوف أتطرق الى الصحـافـة الجـزائريـة فحسب نظرا لضيـق الـوقت من جهـة وقلـة المعلـومـات التي تتـوفر لـدي في الـوقت الحاضر .

وسأحاول أن أقدم وصفا اجماليا قامت به الصحافة في تحقيق الوحدة المغربية .

ففي الجزائر ، أو أن أردتم من الوجهة الجزائرية لأن بعض المظاهر وأن كانت جزائريـة فهي مشتركة كما سأبينه فيما بعد ، ففي الجزائر اذا نجد أن الاهتمام بوحـدة المغرب من طرف الصحـافـة قد أخذ أنواعا مختلفة من ناحية الشكل ومن ناحية العمل المشترك وأخيرا من ناحية المضمون .

1 – من ناحية الشكل أو استعمال الرموز التي توحي بضرورة الوحـدة فـان الصحيفـة الأولى التي ظهرت في الجزائر باللغة العربية كانت تحمل اسم «المغرب» وهي جريدة ظهرت سنـة 1903 بمدينة الجزائر وكان يـديرهـا فرنسي مستشرق اسمـه فـانطـانـا ويتولى تحرير الجريـدة هيئـة من العلماء والمدرسين الجزائريين وهذه الهيئـة هي التي تشرف على مضمون الجريـدة بحيث كانت ذات صبغة ثقافية تهتم خصوصا بالثقافة العربية الإسلامية والجريـدة لا تفسر لمـاذا أعطت لنفسهـا اسم

---

* ألقي هذا العرض في الملتقى الذي عقدته جامعة الجزائر حول «وحدة المغرب العربي» بالجزائر في 17 و 18 جوان 1986

المغرب ولكنها كانت تخصص أعمدتها لأخبار المغرب وتونس ، واختيار اسم المغرب في مستهل القرن العشرين قد يعتبر من هؤلاء العلماء المشرفين على الجريدة كرغبة في تحقيق الوحدة .

ولكثيرا ما وجدنا هذا الرمز الشكلي يستعمل هكذا في الصحافة الجزائرية فيكفي أن نشير الى أنه ظهرت ثلاث صحف بالعربية تحمل اسم المغرب زيادة على التي أشرنا اليها آنفا وهي جريدة «المغرب» التي أصدرها بمدينة الجزائر في سنة 1930 عيسى تعمونت مع أبي اليقظان ، وجريدة «المغرب العربي» التي أصدرها بمدينة وهران في ماي 1937 حمزة بوكوشة وجريدة «المغرب العربي» كذلك التي أصدرها بمدينة الجزائر في جوان 1947 الشيخ السعيد الزاهري وقد توقفت هذه الأخيرة سنة 1949 ثم استأنفأت نشاطها في سنة 1956 .

زيادة على المجلة التي كان يصدرها اسماعيل العربي تحت اسم افريقيا الشمالية ، فتكون في الجملة 6 صحف صدرت في فترة متفرقة ترمز من الناحية الشكلية الى المغرب مثل ما نجده بالنسبة لكلمة الأمة في الصحافة الجزائرية بالعربية أو بالفرنسية .

وربما هناك ملاحظة هامشية وهي أن هذه الظاهرة الشكلية قد ينحصر وجودها في الجزائر فقط دون البلدان المغربية الأخرى حسب ما لدي من المعلومات وهذا يرجع ربما الى الوضع السياسي المتميز عن غيره في الجزائر ، ولكن هذا يبعدنا عن موضوعنا .

2 – أما من ناحية العمل المشترك فانه قد ظهر في ميادين مختلفة مثلا في ميدان القدرات والتكوين الصحفي ، كما أنه ظهر في المساهمة في التحرير أو في ميدان الطبع والتوزيع وفي جميع هذه الميادين الصحفية يطلعنا التاريخ على أن المغاربة تعاونوا لنشر كلمة الحق وللتغلب على العراقيل والصعوبات التي كانوا يجدونها أمامهم ، ووحدوا جهودهم وحققوا انتصارات ...

فقبل الحرب العالمية الأولى ، انطلاقا من مستهل القرن العشرين ، نجد أن الجزائريين والتونسيين ينتقلون من الجزائر الى تونس ومن تونس الى الجزائر للقيام بعملهم الصحافي في أحسن ظروف .

فهذا عمر بن قدور الجزائري يبذل نشاطا كبيرا في الصحافة التونسية قبل أن ينتقل الى الجزائر ليقوم بالتحرير في جريدة الأخبار وهذا محمد عز الدين القلال وهو تونسي يلجأ الى الجزائر ليعد جريدة عربية بأسم «البريد الجزائري» وقد صدر العدد الأول منها في 28 أوت 1913 يعني في نفس السنة التي أصدر فيها عمر بن قدور الجزائري جريدته «الفاروق» مما يدل على توافر الجهود المشتركة الجزائرية والتونسية للقيام بنهضة صحفية في الجزائر .

كما أن هذا العمل المشترك تواصل بعد الحرب العالمية الأولى فنجد مثلا الشيخ تفيش الجزائري يصدر جريدة الزهرة في تونس وتوزع هذه الجريدة في الجزائر وتنال شهرة في الأوساط العلمية ، وهذا الشيخ توفيق المدني يسلك نوعا ما الطريق الذي سلكه عمر بن قدور الجزائري فينتقل من تونس – رغما عنه – الى الجزائر ويقوم بنشاط صحفي ملحوظ في جريدة البصائر .

وفي ميدان الطبع فان مدينة تونس بما كان يتوفر فيها من الوسائل المطبعية بالعربية كانت

ملجأ للصحافة الجزائرية العربية التي تجد صعوبة لقلة المطابع من جهة ورقابة السلطات الاستعمارية من جهة أخرى ، ولقد كانت الصحف التي تصدر بقسنطينة وبسكرة تطبع بتونس وتوزع بالجزائر ولربما أحسن مثال لذلك هو جريدة «وادي ميزاب» التي كان يصدرها أبو اليقظان فكانت تطبع بتونس وتنقل الى الجزائر لتوزع في مختلف مدنها .

3 – واذا تطرقنا الى مضمون هذه الصحافة فاننا نجد الصحف الجزائرية تهتم كثيرا بالقضية التونسية والمغربية خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية مما مكنها من أن يكون لها صيت في هذين القطرين الشقيقين ، فكانت جريدة البصائر وجريدة المنار رائجتين في السوق المغربية حتى جعلت السلطات الاستعمارية تمنعها من الدخول الى البلدين ولقد جاء في العدد 8 من جريدة المنار المؤرخ في 31 أوت 1951 «جاءتنا رسائل من متعهدي المنار بالمغرب الأقصى تفيد أن السلطة قد أصدرت الأمر بمنع هذه الجريدة بالقطر الشقيق» وهذا مما يدل على أن هذه الجريدة كانت كثيرة الانتشار في المغرب الأقصى وأن المغاربة كانوا يجدون فيها تعبيرا صادقا لشعورهم الوطني وهي بهذا قامت بتقوية الروابط الأخوية التي تجمع أبناء المغرب العربي .

ولعله يكفينا أن نذكر في آخر هذا الحوصلة للنشاط الصحفي المشترك في المغرب ما وجده الجزائريون أثناء الثورة التحريرية في تونس والمغرب من التسهيلات في الميدان الاعلامي فلقد كانت جريدة «المقاومة الجزائرية» تطبع بتونس وتطوان كما أن جريدة المجاهد كذلك كانت تطبع بالمغرب وبتونس زيادة على أن اذاعة «صوت الجزائر» التابعة لجبهة التحرير الوطني كانت تبث من مدينة الناضور شمال المغرب الأقصى .

هذه بعض الأمثلة خلال خمسين سنة من الكفاح المشترك ضد الاستعمار والتي ظهرت فيها الصحافة كمنبر قوي لعب دورا كبيرا في تقوية الشعور الأخوي بوحدة المصير .

ولقد كان هذا العمل المشترك قد تعدى هذا الجانب الشكلي الى المساهمة الفعلية في الكفاح الصحفي .

فاذا تصفحنا جريدة المنار التي تحدثت عنها والتي صدرت كما تعلمون في فترة ما بين 1951 و 1954 وهي الفترة التي تفجرت فيها الأزمة المغربية والتونسية في علاقاتها مع الاستعمار والتي أدت الى استقلال البلدين ، اذا تصفحنا هذه الجريدة نجد أنها اهتمت بقضية القطرين اهتمامها بالقضية الجزائرية بل اذا أخذنا العدد الثاني من الجريدة نجد أنها خصصت ما يربو عن ثلاثة أرباع من مساحتها للقضية المغربية مع نشر صورة كبيرة للملك محمد الخامس وهذا العدد يتضمن رسالة الملك التي يبين فيها موقفه المؤيد لحزب الاستقلال والضغوط الاستعمارية عليه ليتخلى عن موقفه ، ونشر هذه الرسالة في مثل هذه الظروف يعتبر جرأة سياسية ومساهمة قوية في مناصرة القضية المغربية .

وهذا الموقف يذكرنا بموقف جريدة المنتقد التي كانت يصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1925 وكانت في هذه السنة تدور رحا الحرب في الريف المغربي بقيادة الأمير عبد الكريم الخطابي ، وأيدت جريدة المنتقد كفاح الأمير وساندت مطلبه بالاستقلال مما جعل الوالي العام الفرنسي فيوليت يصدر أمرا بوقف جريدة المنتقد .

ولم تقتصر جريدة المنار على مناصرتها للقضية المغربية فهي قامت بنفس الحملة مع القضية التونسية بمجمل أربع مقالات وصورة بهذه العناوين : «يوم تونس» «دروس من التجربة التونسية» «أطوار القضية التونسة» «تضامن الجزائر مع الشعب التونسي» وجاء في المقال الأول «يوم تونس يوم التضامن الإسلامي في المحنة ، تضامن من الدفاع عن الكرامة المهانة ...» واستمر هذا الموقف وهذه اللهجة في اعداد كثيرة من الجريدة بحيث أصبح قراؤها يتتبعون حوادث تونس والمغرب عن كثب ويعرفون معرفة جيدة ما يجري في البلدين الشقيقين .

وانه لأمثلة قليلة أوردناها للاستشهاد على ظاهرة عامة ، نجدها في الصحافة الجزائرية منذ نشأتها الأولى اذ لا تخلو جريدة ولا مجلة من ركن صغير أو كبير يخصص لأخبار المغرب وتونس .

وهذا يجعلنا نقول أن الصحافة الجزائرية في الماضي قامت بدورها كاملا في نشر الوعي بضرورة الوحدة وقامت كذلك بوضع الأسس الصحيحة لتشييد هذا البناء بناء متقنا اذ ساهمت بكيفية فعالة في التقرب بين الشعوب المغربية واطلاع هذه الشعوب على الحقائق المغربية .

هذا واذا رجعناالى واقعنا اليوم بعد أن تحصلنا على الاستقلال ودخلنا في طور النمو ، نجد أننا كدنا نضيع هذا الرصيد الذي جمعناه في المحنة الاستعمارية ، ونجد أن صحافتنا واعلامنا لا تعير اهتماما كبيرا بوحدة المغرب .

والوحدة المغربية فكرة تحتاج في يومنا هذا أكثر من الماضي - الى ترويج لدى الجماهير ، والاعلام بما أنه من وسائل الاتصال قد يقوم بهذه المهمة أحسن قيام ، فهو أولا يعرف بشعوب المغرب العربي ويخلق جو التعارف والاخاء ، ويمكن وضع برنامج وخطة تسهل من مهمة الاعلام وتجعله يلعب نفس الدور الذي لعبه قبل الاستقلال .

وهنا نقطتان بودي أن أشير اليهما في ختام هذا العرض الوجيز تكون كقاعدة لهذا البرنامج :

1) - تواجد الصحف المغربية في الأقطار الشقيقة ضرورة ملحة حتى يتعرف كل شعب على ما يجري عندشقيقه ، ويجب أن يكون توزيع هذه الصحف مثل توزيع الصحف الوطنية حتى يتمكن ترويج فكرة الوحدة وتنضج مع مشاكل البناء والتشييد .

2) - وضع برامج التبادل في الاذاعة والتلفزة واستعمال هذه الوسائل الاعلامية الفعالة في نشر الثقافة المغربية والكشف عن طموحات الأقطار المغربية .

وليس هناك شك في كون الاعلام من أحسن الوسائل - أكثر من الكتاب ، والمدرسة - وكذلك أحسن من الأحزاب السياسية في خلق جو ملائم لظهور وحدة حقيقية دائمة عند الشعوب المغربية .